

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة السبعون

عمر بن عبد العزيز (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ما زال الحديث موصولاً عن حياة فتي من فتيان الإسلام ، إنه عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) .

إهدي إلى عمر بن العزيز (رحمه الله) مرة هدية فلم يقبلها خشية أن تكون رشوة ، فعن إسماعيل بن عياش عن عمرو بن مهاجر قال اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً فأهدى له رجل من أهل بيته تفاحاً فقال ما أطيب ريحه وأحسنه وقال ارفعه يا غلام للذي أتى به وأقر مولاك السلام وقل له إن هديتك وقعت عندنا بحيث تحب فقلت يا أمير المؤمنين ابن عمك ورجل من أهل بيتك وقد بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية قال ويحك إن الهدية كانت له هدية وهي اليوم لنا رشوة .

هذا الموقف من حياة عمر بن عبد العزيز فيه درس بليغ للشباب الذين يتولون الأعمال والمسؤوليات ، ثم يأتيهم من له مصلحة في هذه الأعمال فيهدي إليهم هدية ، أو يقدم لهم خدمة معينة ، كل ذلك من أجل أن تقضى حاجته ، أو يأخذ ما لا يستحقه ، أو يقدم على غيره ممن هو أحق منه في هذا الشأن ، فليتب الله أصحاب المناصب والمسؤوليات من قبول هذا العطايا ، فإنها وأن كانت باسم الهدية ، فإنها بحكم الرشوة لما فيها من المنفعة ، وقد حذر رسول الله من الرشوة حين قال : «لعنة الله على الراشي والمرتشي» أخرجه ابن ماجه .

ومن مواقفه مع أولاده قال ابن عيينة قلت لعبد العزيز بن عمر ما آخر ما تكلم به أبوك فقال كان له من الولد أنا وعبد الله وعاصم وإبراهيم وكنا اغيلمة فجئنا كالمسلمين عليه والمودعين له فقيل له تركت ولدك ليس لهم مال ولم تؤوهم إلى أحد فقال ما كنت لأعطيهم ما ليس لهم وما كنت لأخذ منهم حقاً هو لهم وإن وليي الله فيهم الذي يتولى الصالحين إنما هم أحد رجلين صالح أو فاسق وقيل إن الذي كلمه فيهم خالهم مسلمة .

ووما يدل على خشيته من المولى سبحانه وتعالى واتهامه لنفسه ، تلك الكلمات التي كان يقولها في مرض موته ، عن ليث بن أبي رقية أن عمر بن عبد العزيز قال أجلسوني فأجلسوه فقال أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاثاً ولكن لا إله إلا الله ثم أحد النظر وقال إني لأرى خضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض .

وقال المغيرة بن حكيم قلت لفاطمة بنت عبد الملك كنت أسمع عمر بن عبد العزيز في مرضه يقول اللهم أخف عليهم أمري ولو ساعة قالت قلت له ألا أخرج عنك فإنك لم تنم فخرجت فجعلت أسمعهم يقول : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ مراراً ثم أطرق فلبثت طويلاً لا يسمع له حس فقلت لوصيف (أي خادم) ويحك انظر فلما دخل صاح فدخلت فوجدته ميتاً قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينيه .

وفي رواية عن عبيد بن حسان قال لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال اخرجوا عني فقعد مسلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان ثم تلا ﴿ تلك الدار الآخرة ﴾ ... الآية ثم هدأ الصوت فقال مسلمة لفاطمة قد قبض صاحبك فدخلوا فوجدوه قد قبض .

وقال هشام لما جاء نعيه إلى الحسن قال مات خير الناس .

ولم تكن الشهادة لعمر بن عبد العزيز (رحمه الله) من المسلمين فحسب ، بل كانت حتى من أعداء المسلمين ، فعن محمد بن مروان العقيلي حدثنا يزيد أن الوفد الذين بعثهم عمر بن عبد العزيز إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام قال فلما بلغه قدومنا تهيأ لنا وأقام البطارقة

على رأسه والنسبورية واليعقوبية إلى أن قال فأتاني رسوله أن أجب فركبت ومضيت فإذا أولئك قد تفرقوا عنه وإذا البطارقة قد ذهبوا ووضع التاج ونزل عن السرير فقال أتدري لم بعثت إليك قلت لا قال إن صاحب مسلحتي كتب إلي أن الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز مات قال فبكيت واشتد بكائي وارتفع صوتي فقال لي ما يبكيك أأنفسك تبكي أم له أم لأهل دينك قلت لكل أبكي قال فابك لنفسك ولأهل دينك فأما عمر فلا تبك له فإن الله لم يكن ليجمع عليه خوف الدنيا وخوف الآخرة ثم قال ما عجبت لهذا الراهب الذي تعبد في صومعته وترك الدنيا ولكن عجبت لمن أتته الدنيا منقاداً حتى صارت في يده ثم خلى عنها .

هكذا يكون الرجل التقى الزاهد الورع ، كل يعرف له قدره ، ويذكره بالخير ، وهو الرجل الذي يفقده الناس عند موته ، أما ذلك الذي نسي ربه وغفل عن طاعته ، فإن الناس لا يفقدونه إن مات ، حاشا أقرب الناس إليه ، بل ربما فرح الناس بموت مثل هذا الذي نسي ربه لما فيه من مضرة الخلق والإيذاء للناس ، أما أمثال عمر بن العزيز من الصالحين ، فإن البكاء عليهم ليس من البشر فحسب ، بل حتى السماء والأرض تبكي عليهم ، ففي مسند أبي يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "ما من عبد إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقدها وبكى عليه "وتلا هذه الآية "فما بكت عليهم السماء والأرض" .

روى خليفة بن خياط وغيره أن عمر بن عبد العزيز مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومئة بدير سمعان من أرض حمص قال وإنما هو من أرض المعرة ولكن المعرة كانت من أعمال حمص هي وحماة وعاش تسعا وثلاثين سنة ونصفا وقال أبو عمر الضير مات بدير سمعان من أرض حمص يوم الجمعة لعشر بقين من رجب وله تسع وثلاثون سنة ونصف .

وقال طائفة في رجب لم يذكروا اليوم وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأياما .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا

رشدنا ، وأن يوفقنا لصالح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .